إهداء

إيمان البدراوي، الصديقة الجميلة التي تُهدي دون أن تُهدى، جعل الله لقلبكِ نورًا ولحياتك السعادة وأَحَبّكِ.

مصطفى الصايم، كانت لكلماتك ونصائحك وقعًا خاصًا على كلماتي وسببًا في التحسن، ممتنة.

للظروف والمشاحنات، شكرًا فلولا تلك الندوب في قلبي لما استطاع قلمي أن يشعر قبل أن يكتب.

لمن يكن لي في قلبه ولو القليل، أسعدك الله في الدارين.

للقُراء، أتمنى أن ينال العمل إعجابكم، وفي نهاية الأمر إذا أعجبكم أو لا فكل التوفيق من الله وكل التقصير مني وحدي.

وأخيرًا.. أهلي.

أمي، أبي، محمود، مريم، عبدالله وعبدالرحمن، لا يسعني قول شيء سوى أحبكم، فـ والله لن يستطيع

أن يصف ما في جعبتي لكم اجتماع الحروف كافة، دمتم ظهرًا لي أتكأ عليه كلما أميل.

نورين محمد

إهداء لكل المُحطّمين داخليًا، يومًا ما ستُعمر.

٢٠٢٠/١٢/٧

عبراتي تسقط أمامي الواحدة تلو الأخرى على وسادتي، أنظر إليهن بحسرة، أحادثهن ألا عليكن، أنظر لنفسي في المرآة بجواري، وجنتاي ازدادت حمرتهم عيناي العسليتان تلمعان من كثرة البُكاء، مكسورة كما تقول أمي، شعري الأسود متناثر حولي، أنكمش حول نفسي في وضع الجنين، أنحب، أنفاسي تتقطع ويزداد شحوبي أكثر فأكثر، سمعت ضجيجًا يأتي من الخارج علمت أنها أمي، اقتربتْ من الباب بهدوء لتنظر إليَّ، أبرع في التظاهر بالنوم بسبب اعتيادي على الأمر، ولحسن الحظ كنا في ديسمبر فكنت أتوارى تحت الغطاء جيدًا لا يظهر مني طرفة عين، اقتربت أكثر من سريري، أزاحت الغطاء قليلًا لتكشف عن وجهي الأحمر، قالت بحنان:

- مازال لون وجنتك يتغير عند بكاءك، هل تظنين أن تلك الحركات ستمر عليَّ، لا تنسي فأنا والدتك.

سقطت مني دمعة لم أستطع حبسها أكثر من ذلك، وزادت اهتزازات شفتيَّ، شعرت بها تنساب تحت

الغطاء معي وتلف خصري بيدها الدافئة وكأن العالم يحتضنني بكل الدفأ به، أنفاسها الدافئة أشعر بها، قلبي بدأ يهدأ، أظن أن وجنتاي عادت للونها الطبيعي الآن، حتى غافلني النوم، ولأول مرة أنم وقلبي مطمئن.

****

الحياة من بعده أصبحت قاسية، أتذكر يوم وفاته جيدًا، كان البيت يمتلأ بالبشر المعزين، لم أرهم مسبقًا في حياته وكأنهم تذكروه ولأول مرة حين وصلهم خبر وفاته، شعرت بالبغض تجاههم، كم وددت لو أقف واطردهم جميعًا من البيت بلا رجعة، ذلك العم الذي لم أره في حياتي سوى مرتين، الأولى في مرضة وإيداعه في المستشفى والثانية الآن!

وتلك الجدة التي لا أذكر حتى ملامحها إلا أنها تشبهه كثيرًا، وتلك التي اشمأزت منه في مرضه ورفضت دخوله منزلها حتى لا تُعدى، يمثلون بحق مقولة "يقتل القتيل ويسير في جنازته"، لماذا يبكون، على أي شيء يبكون من الأساس؟

كلها أيام ولن يتذكروا ما حدث، فقط أنا وأمي وأخي من سنعاني لبقية حياتنا.

بيتنا أصبح خاوي بلا أعمدة، ذهب ربه ولكن مازال ربي موجود.

- (ريم).

سمعت صوت صديقتي (حسناء) من بعيد، رأيتها تلوح لي بيدها المغطاة بالقفازات السوداء، لا

أستطيع تمييز المنتقبات بتاتًا لكن في حالة (حسناء) أعلمها حتى لو وقفت بين الكثير؛ فهي مميزة تشعر بطاقة إيجابية تشع منها، مرحة لأبعد حد وبصراحة عيناها ملونة وقصيرة قليلًا بها بعض السمنة لذلك أميزها، قابلتها مرحبة، قبلتها، داعبتها، اخبرتها بـ "أنتِ جميلة اليوم" لتجيب بـ "ليس مثلك".

كم هي إجابة ملتوية، هل تقصد أنني أجمل منها، أم أنه تقليل من شأني بأنها جميلة ولستُ كذلك، لا شيء يعكر صفو الإنسان سوى عقله وتفكيره، نظرت لها وقلت:

- لن اسألك عن قصدك لأنني أعلمك جيدًا لا يخرج من فمك العيبة، لكن سأخبرك أننا تأخرنا عن العمل وسيغضب المدير وحينها سأخبره سبب تأخيرنا.
- ضَحِكت بشدة وهي تمسك بيدها حقيبة بلاستيكية سوداء وهي تقول بغنج:
- أرجوكِ.

نظرت لها بمكر وتركتها خلفي تضحك وهي تستوقفني، حتى وصلنا للمكتب، تعلم جيدًا أنني لن

أخبر أحد وأنني أحق بالكتمان، فهي لم تكن مجرد صديقة لي بل أخت لم أرزق بها.

- أستاذة (ريم) يبحث عنك المدير منذ الصباح، ويريدك في مكتبه الآن.

شعرت بالارتياب، لمْ يطلبني (خالد) لمكتبه مسبقًا أكيد أن الأمر يستدعي، وبما أنه يستدعي فهو يُقلق، سرت باتجاه المكتب وعقلي يرسل إشارات كثيرة لقلبي بالنبض، وقدمي بالعرج، وأعصاب جسدي بالارتعاش، وصلت أخيرًا المسافة كانت بعيدة للمرة الأولى:

- تفضلي يا (ريم).
- طلبتني؟
- أجل.

كان بشوشًا اليوم أكثر من ذي قبل، مشَّط شعره البني بدقة _للمرة الأولى_ وارتدى بذلة كحلية أضفت عليه جمالًا لم ألاحظه مسبقًا، فهو وسيم طويل، عريض المنكبين، رجل مناسب للفتيات مُحبي المظهر، وبصدق لمحبي النفس الرزينة الهادئة، كان متكاملًا بالنسبة لي لكنه يومًا لم يكن رجل أحلامي ولا أدرِ لمَ.

- أريد التحديث معكِ في شيء مهم.
- تفضل، أسمعك.

تردد قليلًا قبل أن يقول:

- ليس هنا.
- أين؟
- تناولتِ الإفطار اليوم؟
- لا!
- حسنًا سأنتظرك بالأسفل بعد نصف ساعة، سنتناول الإفطار معًا.

****

- ماذا، إفطار!

لم تصدق (حسناء) ما قلته لها، معها حق حتى أنا للآن لا أصدقه، لو أخبرني شخص بالأمس أن (خالد) سيطلب مني تناول الإفطار معًا لم أكن لأصدقه، حتى لو قال فقط أنه سيعاملني بكل هذا اللطف، العلاقة بيني وبين (خالد) سيئة قليلًا، فأعارضه دائمًا ولا أقبل سوى بما أريد، وهو من النوع المسيطر يريد لكل شيء أن يسير على هواه.

مرت النصف ساعة ودقات قلبي معها تتزايد، رأيته يخرج من مكتبه فتبعته بدقائق، كان واقفًا ينظر لساعته بملل وبمجرد رؤيتي احتلت البشاشة وجهه:

- تأخرتْ؟
- لا يهم، المهم مجيئك.
- إلى أين؟
- أي مكان تحبينه.

عرضت عليه مكاني المفضل الذي اتناول فيه الطعام في ساعة الغذاء، مكان بسيط قريب من الشركة وأسعاره مقبولة للفقراء مثلي فكان بالنسبة للمدير كـ "كشك" صغير في منطقة نائية، جلسنا وطلب الطعام لنا ثم تنحنح قبل أن يقول:

- كما أخبرتك مسبقًا، هناك شيء هام.
- تفضل كلي آذان صاغية.
- كما تعلمين، أنا شاب أوشكت على الدخول في عقدي الرابع ومازلتُ أعزب!

جحظت عيني من صدمة كلامه عليَّ، هل ما يقوله اعتراف صريح بحبه لي؟ هل ينوي خطبتي؟

خفت، توترت وظللت أفرك في يدي وأنا أفكر في نتيجة ما سيحدث، سيقولون مساعدة المدير أوقعته في شباكها، هل حقًا يحدث هذا أم أنني أشاهد فيلم تركي الآن.

نظر لي بلهفة وحاول مسك يدي ليكمل حديثه فسحبتها ببطء خجلًا وامسكت بها كوب ماء، شعر بالإحراج فأكمل حديث:

- أريد أن أتزوج.

تيبست على مقعدي، وقع الكوب من يدي ونظرت أمامي في صدمة لينظر هو خلفه.

****

استيقظت صباحًا لأجدها مازلت تحتضنني لكن وجهي بوجهها تلك المرة، نظرت لها بحبٍ، تشققات وجهها التي تركها لها الزمن، رائحتها التي أعشقها بشدة فهي كالورد والياسمين، اخبرتها مسبقًا عن سبب تلك الرائحة هل هو معطر ما تضعه لكن اجابتها دائمًا كانت بالنفي مجيبة بـ "إنها رائحة طبيعية.. من الله"، استنشقت عبيرها لتستيقظ هي بدورها، باغتها بـ:

- صباح الورد والياسمين، ورائحة عبيرك.
- لن تفلح تلك الحركات معي، ستخبريني عن سبب بكائك الآن.

نظرتُ على الساعة بجواري، شهقت شهقة مفتعلة وقمت مسرعة وأنا أقول:

- يا إلهي تأخرت عن العمل.
- لن تفلتي مني اليوم يا (حسناء) ستخبريني عاجلًا أم آجلًا.

****

- أين أنتِ؟
- في الطريق.
- أين بالتحديد!
- بالقرب من البناية الجديدة.
- لمَ التأخير؟
- صدق أم كذب؟
- كذب.
- الطريق مزدحم.

ضحكت (ريم) ضحكة سخيفة مفتعلة وهي تقول:

- صدق.
- كما العادة، قام قولوني بفعلها في الطريق فاضطررت للذهاب لأقرب مسجد لأريحه.
- ليس قولونًا عاديًا بل طفل صغير، أنا أحسبكما شخصين يا (حسناء).

لم أحب مزحتها تلك المرة، دائمًا ما تسخر من مرضي، أو ربما لمزاجي المتعكر اليوم لا أطيق مزاحها، لكن لا يهم يجب عليَّ الظهور بأبهى طلة اليوم، عاد (خالد) من أجازته وسأراه أخيرًا.

رأيتها من بعيد أشرت لها، نظرت للبناية بالخلف وبالتحديد الدور الخاص بالشركة وبالتحديد أكثر

مكتب (خالد) لأراه يقف في النافذة بيده كوب، أشكر تلك البناية القصيرة مثلي، فبسببها أحيانًا أراه من أسفل ليتعدل مزاجي.

عند دخولنا للشركة طلب (محمود) زميلنا في العمل من (ريم) أن تذهب لـ (خالد) فهو يريدها، لا أعلم لمَ شعرت بالغيرة فتلك صديقتي وأثق بها جيدًا وأكيد هي تشعر ببعض ما أكنه له كما أن عملها في الشركة يجبرها على التقرب من (خالد)، أما أنا فمسؤولة عن الحسابات فقط لا أفقه شيء في عملهم كثيرًا، بضع دقائق حتى خرجت تحمل على كاهلها ثقل كبير، أخبرتني أنه طلب منها تناول الإفطار سويًا، لم أصدق الأمر، تمنيت لو رفضت لكنها قبلت بسهولة وكأن الموضوع يهويها، لا يهم فأنا مازلت أثق بها.

****

- (أحمد)، كيف حالك؟
- بخير، وكيف أنتِ؟
- الحمد لله، أستاذ (خالد) مديري بالشركة، (أحمد) صديق قديم.

وقف (خالد) في مقابلة (أحمد)، مدَّ يده ليصافحه، عرضت على (أحمد) الجلوس معنا لكنه رفض متحججًا بتأخره عن العمل، لا يعلم أنني مازلت أتذكر أن اليوم هو أجازته الوحيدة، ودعته وودعنا، جلسنا مجددًا ليكمل (خالد) حديثه وانصت أنا له باهتمام:

- بصراحة، أنا معجب بـ (حسناء).
- نعم!
- قلتها بصوت عالي وسرعة حتى لاحظتُ ذلك، فحاولت تغيير صوتي بسرعة وأنا أخبره:
- جيد، جيد جدًا.
- ما هو الجيد، (ريم) أحتاج مساعدتك في التقرب من (حسناء).
- ماذا أفعل؟
- لا أدري، صديقتكِ وتعلمين جيدًا ما يرضيها.

جاء الطعام ليفصل حديثه حتى ذهب النادل، امسك الشوكة بيده اليسرى والسكين باليمنى، طلب له بيتزا حجم كبير بالدجاج ولي صغيرة باللحم، يبدو أنه جائع أو ربما يخرج طاقته في الأكل.

أكمل حديثه بفم مُلئ بالطعام:

- ستساعديني أم ماذا؟
- سأساعدك.

****

بعد أسبوع.

أجلس في المكتب بمللٍ، لا أعلم لمَ تأخرت (ريم) عن العمل اليوم، ولمَ تغيبت بالأمس، الوضع بدونها سيء رغم أنها ثقيلة على الأنفس في مزاحها، كان الجو هادئ حتى سمعنا صوت مدوي تحت البناية، أظن أنه صوت سيارة إسعاف أو شرطة، دقائق حتى جاء رجل كبير يرتدي بذلة سوداء وخلفه شرطي في مأزرة مسدس وينظر للجميع في الشركة بتفحص، زاد الشك في نفسي اقترب وسأل عن (خالد دويدار) أشار له (محمود) على مكان وجوده، دخل جلس بالداخل نصف ساعة مرت وكأنها نصف قرن بعدها خرج الشرطي معه وقال:

- (حسناء عبدالعزيز) هل هي موجودة، يريدونها بالداخل!

****

.٢٠٢٠/١٢/١٣

- جاءتنا إخبارية بالعثور على جثة في منزل بالحي العاشر، لفتاة في عقدها الثالث تسمى (ريم).

ترك (عادل) ملفها أمامي ورحل بعدما طلبت منه ذلك، فتحته لأرى في أول صفحة صورة لفتاة صغيرة ترتدي حجاب وردي وبسمتها بشوشة نظرت سريعًا على بياناتها: الاسم (ريم)، السن ٢٤، الحالة الاجتماعية عزباء، بعض المعلومات عن حياتها: تعيش في منزلها مع والدتها واخوها الصغير، والدتها مريضة بالسرطان، مرحلة متأخرة، يصغرها اخوها في السن بخمسة عشر عامًا، تعمل بشركة دويدار للصناعات الكيميائية، ماتت نتيجة التسمم في قعر بيتها، رفعت الهاتف طلبت أول شخص جال في خاطري، الشخص الوحيد الذي أستطيع منحه الثقة الكاملة.

- (سعيد) بيه، أريدك بمكتبي.

****

ولجت للمكتب لأجد (خالد) وذلك الرجل بالرداء الأسود معه يجلسون على الأريكة بجوار المكتب، كان رجل كبير أظنه في الخمسين من العمر لكنه صحته جيدة، طويل وعريض المنكبين، عضلاته تبرز فوق ملابسه فتلاحظها جيدًا، يمسك بيده سيجارة كان على وشك تدخينها ويمسك (خالد) بيده اليسرى قداحة، باغتّه بكلامي:

- أرجوك أعاني من الربو.

نزع السيجارة من فمه ووضعها في العلبة مجددًا ثم قال:

- اعتذر، تفضلي.
- ما الأمر هل كل شيء بخير؟
- ليس الكل، متى آخر مرة تحدثتِ فيها مع (ريم)؟

نظرت له لبرهة ثم وجهت ناظري لـ (خالد) الجالس بهدوء بجواره، يمط شفتيه قليلًا وعيناه تلمعان، أجبت:

- أمس صباحًا.
- ومت...
- أعتقد.

نظر لي الرجل ذو البذلة بشك بعدما قاطعته ثم أشار للشرطي الذي وقف خلفي بدوره من وقت دخولي. مرر لي صورة، امسكتها، توجس قلبي خيفة من مكنونها، نظرت لثلاثتهم قليلًا ثم قلبتها لأجد (ريم) مسجاة على الأرض وبجانبها بكثرة مادة بيضاء مصدرها فمها، شهقت، بكيت، نظرت لـ (خالد)، حاله لم يتغير مازال يجلس بهدوء يمط شفتيه وزادهم قضم أظافره.

- صحيح لم أعرفك بنفسي، أنا الرائد (جلال الدين) جنايات.
- ماذا حدث لـ (ريم)؟
- أنا من يجب عليَّ السؤال.

بكيت أكثر، لا أستطيع ابتلاع ريقي، يقف كالشوكة في حلقي، أصبحت الصورة ضبابية أصواتهم تختفي و..

****

فقدت (حسناء) وعيها، حاولنا إفاقتها لكنها أبت أن تستيقظ، عرض (سعيد) بيه نزع النقاب عنها لكن رفضت، لم يكن الوقت المناسب لظهور تلك المشاعر أمام الجميع لكن لم أستطع تركهم يروها، هاتفت الإسعاف ولحسن الحظ الشركة بجانب المستشفى فجاءت السيارة بسرعة، تم نقلها إلى المستشفى، أما الشرطيان فاعتذرا ورحلا ليعداني بالمقابلة مرة أخرى قريبًا، بعد رحيلهم صرت وكأن روحي رُدت لي مجددًا، فقدان عزيز عليك في ليلة وضحاها أمر صعب.

- هل انتحرت؟

قالتها (حسناء) بصوتٍ شجي.

- لا أعلم.
- هل نحن السبب في ذلك؟
- لا أعلم أيضًا.

نظرتُ بداخل عينيها، أعلم جيدًا بمَ تشعر، اخبرتها (ريم) منذ أيامٍ قليلة بحبي لها لكن لا أعلم لمَ كان الحزن في عينيها.

- هل أخبرتك مسبقًا أنها كانت تحبني؟
- لا، ولكن لا أظن ذلك.

- هل نسيتي الحزن في عينيها تلك الليلة!
- لا أعلم يا (خالد) لا أعلم.

قالتها وهي تضع يدها على وجهها وجهشت بالبكاء، اقتربت منها بداخلي رغبة ملحة أن اضمها لصدري، لكن أعلم جيدًا أنها لن تتقبل أمرًا كهذا، وأن الدين والمجتمع يرفض مثل تلك الحركات، جلست أمامها على السرير واخبرتها:

- هل تعلمين.. إنها المرة الأولى التي أرى وجهك فيها.

كفكفت دموعها بأناملها وهي تنظر لي فأردفتُ:

- جميلة كما توقعت، وأجمل ما فيك تلك الوجنتان الممتلئتان، عندما نتزوج سأعضعضهما.

ضحكتْ وضحكتُ، احمر وجهها فنظرت لي وقالت:

- لم أرَ بغبائك.
- نعم!
- ما الذي قلته الآن؟

قالتها وهي تضحك بشدة.

- لا أعلم أردت فقط التخفيف عليكِ، سخيفة، خاطئة لكنها أجدت نفعًا.

أخذت شهيقًا لتخرجه ببطء ثم قالت وهي مطأطأة الرأس:

- ماذا الآن؟
- لا أعلم، غدًا ينتهي الأمر.
- أتمنى.

****

جلست أمام المكتب، أمامي الكثير من الأوراق، العرق يتناثر من جبيني بشدة، أقلب في الأوراق بغضب، لا شيء غير صحيح، لا أعداء، فقط فتاة سعيدة حياتها هادئة، ما بعثر أمامي الآن دليل قطعي على الانتحار، تبقى فقط نتيجة التقرير الطبي بعد التشريح وحينها سيُحل اللغز.

في شهادة الشهود وجدت شهادة مالك المطعم التي اعتادت الذهاب إليه.

"جاءت قبل أسبوع مع رجل وسيم، كانت تناديه بأستاذ (خالد)، طلبوا الطعام وبعد القليل من الوقت مر بجوارهم شاب ألقى التحية ثم رحل" وبسؤاله عن ماهية ذلك الرجل قال: "يسمى (أحمد)، مؤخرًا اعتاد المجيء إلى المطعم كل أحد، يطلب وجبة دجاج وكوب قهوة ويجلس قليلًا ثم يرحل" وبالبحث تبين أن (أحمد) خطيبها القديم.

وضعت عدة دوائر حول جملة خطيبها القديم ثم امسكت هاتفي لأطلب استدعاء خطيب (ريم) السابق المدعو (أحمد عادل) في أقصى سرعة.

سويعات مرت وأنا أنتظر قدوم الشاهد، مرت عليَّ كسنون، نظرت للصورة الموضوعة على المكتب

بجانبي، صورة ابنتي الصغيرة _رحمها الله_ تشبه (ريم) كثيرًا وأعتقد أنها في نفس سنها لو كانت حية للآن، طفلتي ماتت بالسرطان أما ريم فسُمِّمَت، إجبارًا أم رغبة ذلك ما نبحث عنه، دق الباب وددت لو أقوم لأفتحه بنفسي واستجيب ذلك الـ (أحمد) على الباب من فرط حماسي في تلك القضية، هدأت، سحبت نفسًا عميقًا من سيجارتي، تنحنحت بقوة قبل أن أقول بصوت رخيم:

- تفضل.

ليدخل عليَّ عسكري (أمين) قائلًا وهو يحييني التحية العسكرية:

- تمام يا فندم، الشاهد (أحمد) في الخارج ينتظر سعادتك.
- عشر دقائق واسمح له بالدخول.

مرت الدقائق ببطء حتى دخل أخيرًا عسكري أمين بصحبة (أحمد)، أخبرته أن يأتي بكوبين من القهوة المضبوطة، نظرت لـ (أحمد) شاب بشرته قمحية وشعره قصير أسود اللون، عيناه بني محروق، الهيبة تملأ قسمات وجهه مثل الرجل المصري

العريق، نظرت له، تفحصته، اخبرته أن يجلس ليقص عليَّ حكايته و (ريم) فقال:

- أنا و (ريم) تم خطبتنا بسبب صداقة قديمة بين أبوينا _رحمهم الله_، أحببتها بشدة وصبرت عليها الكثير حتى ينبض قلبها لي لكن لم يفلح الأمر، لم ترَ أمامها سوى عملها، تهتم به وكأنه طفلها الصغير حتى أنني أعتقد أنها لم تتغيب عنه ولو ليومٍ واحد.
- ألا ترى أنه سبب ضعيف لتركها؟
- وهل ستكمل مع امرأة تخونك؟

****

كان يجب عليَّ الذهاب لمنزلها، رغم كلِّ ما حدث لكنها صديقتي وواجب عليّ أن آخذ عزائها مع والدتها واخيها الصغير، ذهبت لمنزلها كان أشبه بالقبور، القرآن يطغو على أي صوت آخر بالجوار، الجميع يتشح بالسواد، حتى وجوههم سوداء من كثرة البكاء والسهر جلست والدتها على أريكة في آخر ركن بالصالة، على وجهها برود لم أعهده مسبقًا ومعلق بيديه كانيولا، وجهها شاحب والنحف واضح عليها جليًا، كانت تخاف الموت وترك ولديها بمفردهم، الآن تركتهم (ريم) وستلحقها أمها وذلك الصغير سيظل بمفرده.

صدرت مني كلمة "واحسرتاه" وأنا أنظر لحالهم اقتربت منها قبلتها، عزيتها وأخبرتها أنها بمكان أفضل الآن.

- كانت طيبة لا تصادق سوى الطيبين أمثالك.

وجم وجهي، واثقة من احمراره قبلتُ يدها وتركتها لأرحل مسرعة، دق هاتفي فأمسكته لأجيب.

- أين أنتِ لقد هاتفتكِ فوق العشرون مرة.
- اخبرتك، في منزل (ريم).
- كيف حال والدتها؟

- ليست بخير، ما الأمر ولمَ كل تلك المكالمات؟

تنهد قليلًا قبل أن يقول:

- ظهرت نتائج التقرير الطبي.

لم أصدق ما أسمعه، دارت بي الدنيا فاقتربت من أقرب حائط بجواري واستندت عليه، أردف (خالد) حديثه:

- لن تصدقي كيف ماتت.
- كيف؟
- على ثلاثة مراحل، tetrodotoxin، ثم الطعن بسكين مطبخ صغيرة في جانبها الأيسر وأخيرًا الـ فلاكسديل.
- كيف علمت بكل هذا، وما موقفنا من القضية؟
- أصدقاء لي بداخل المركز، لا أعلم أتمنى أن ينتهي الأمر بلا ضرر.

صمتَ قليلًا ولم أقدر حتى أن اسأله أين ذهب، صدمتي بما حدث لـ (ريم) فاقت توقعاتي، دقيقة حتى أجاب بسرعة وجدية:

- سأغلق الخط الآن، صدر أمر بتفتيش منزلي.

****

تصريحات (أحمد) كانت شبه صادمة بالنسبة لي مع أني كنت أشعر بذلك، وما زاد الطين بلة هو نتيجة التقدير الطبي، تلك المسكينة عُذبت بشدة، طلبت أمر بتفتيش منزل الأستاذ (خالد دويدار) لربما وجدت إحدى العينات التي قُتلت بها (ريم) سواء tetrodotoxin أو فلاكسديل أو تلك السكين، تجهزت الدفعة الخاصة بتلك العمليات وأخذت معي طبيب جنائي لأبحث عن أمر جال في خاطري، وصلنا للمنزل، قرعنا الباب والجرس ليفتح لنا (خالد) وهو ممسك بهاتفه، قلت له:

- أستاذ (خالد) لدينا أمر بتفتيش منزلك.

توجم وجهه ونظر للجميع خلفي ثم قال بصوت مجنح:

- أي أمر، ولماذا؟

أخرجت ورقة التفتيش في مقابلة وجهه وسمحت للرجال خلفي بالدخول لبدأ عملهم، امسك هاتفه من جديد وقال لمن على الخط:

- سأغلق الخط الآن، صدر أمر بتفتيش منزلي.
- هذا إجراء روتيني لا تقلق، فقط نبحث عن شيء مهم قد يفيد قضيتنا.

- ولمَ توقعت وجوده في منزلي بالتحديد؟

نظرت له نظرة تفحص ثم قلت بصوت رخيم:

- إنه عملي، إذا كنت تريد الاعتراض أمامك القسم اذهب لتشتكي، ولكن بعد تفتيش المنزل أيضًا فلا يمكنك منعنا الآن.

تركته خلفي يعوي وما من مجيب، أشرت للطبيب معنا أن يبحث عن أي شيء مثير للشبهة في الأرجاء، بعد قليل اجتمع الجميع، لم يعثروا على شيء غريب، كل هذا و (خالد) يقف في للخلف وعلامات الانتصار جلية على وجهه، نظرت للطبيب فقال:

- لا شيء حتى الآن، تبقى المطبخ والحمام.
- ابدأ بالحمام، والرجال سيدخلون المطبخ وأي آلة مشابهة لأداة الجريمة سوف يتم احترازها.

دخل الحمام، دخلت خلفه و (خالد) معنا، ذهب رجلين للمطبخ، أخرج من حقيبته مادة زرقاء اللون، سألته عن مكنونها وظيفتها فقال:

- لومينول (Luminol)، ستعرف وظيفتها بعد قليل، وأتمنى ألا تعرف!

أغلق الأضواء بالحمام ثم نثر المادة الزرقاء في أرجاء الحمام وهنا كانت الصدمة بالنسبة للجميع، قاطع تفكيرنا صوت الطبيب قائلًا:

- الـ Luminol مركب كيميائي مشع، يتفاعل مع عنصر الحديد الموجود في هيموغلوبين الدم ليعطي توهجًا أزرق على مكان تواجد آثار الدماء.

جاء صوت شرطي في الخارج يقول:

- سيدي لقد عثرنا على سكين قطره يقترب بشدة من السكين المستخدمة في الجريمة.

نظرت لـ (خالد) الواقف صامتًا والدهشة تحتل وجهه وقلت:

- أستاذ (خالد)، أنتَ مقبوض عليك بتهمة القتل.

****

حُلت القضية، بتلك السهولة.. أشك. لا أفهم رد فعل (خالد) للآن على ما حدث، صامت، شاحب حتى أنه لم يستدعي محامٍ يدافع عنه، بعد يومين من احتجازه أرسلت عائلته محامي كبير ليتولى تلك القضية، لا نفاذ من الجريمة بالفحص تبين أن الدم يعود لـ (ريم)، السكين لا توجد بها آثار دماء لكنها تشبه كثيرًا السكين المرتكَب بها الجريمة، ولا حل سوى أنها واحدة من المجموعة وقام بإخفاء السكين المستهدفة، حققنا معه كثيرًا، لا يعلم شيء عن السكين ولا قتل (ريم) أما تبريره للدماء فكان أمرًا عجيب.

- اعتادت المجيء للمنزل في الأسبوع السابق لوفاتها لأمر بيننا.
- وما هو الأمر؟
- كنت أنوي خطبة (حسناء) صديقتها وكانت تساعدني، كنت أجهز حفلة صغيرة في المكتب لأتقدم لها أمام الجميع، (ريم) كانت تتواصل مع والدتها لتحضر في ذلك اليوم وتجمع بيننا لأستطيع التحدث معها في أمر الزواج، (حسناء) لا تعلم بكل هذا، قبل وفاتها بيوم اخبرَتها أنني أنوي خطبتها لكن لا تعلم متى،

وفي ليلة وفاتها كانت تستفرغ دمًا، قالت أنها مريضة وستكون بخير لذلك لم أعر للموضوع انتباه شديد.

كان ينظر للأرض، لم يرفع وجهه إليَّ صوته مشحون بالغضب وكأنه مجبر على الحديث معي، هو مجبر فعلًا لكن ليس لتلك الدرجة، نظرت له من رأسه لأخمص قدمه ببطء ثم قلت:

- هل تعلم تأثير tetrodotoxin على الإنسان بما أنك خبير في تلك الأمور بسبب دراستك وعملك؟

نظر لي بغضب، وكأنه التمس من حديثي شك والصاق التهمة به، تنهد ثم قال:

- مادة قاتلة سريعة المفعول، تشل الأعصاب ومنها العضلات، فتتأثر عضلات التنفس ويموت المتلقي خلال نصف ساعة بسبب قلة الأكسجين، هذا إذا دخل من الدم مباشرة، أما إذا دخل من الفم وبكميات ضئيلة جدًا على أيام فإنه يسبب الشلل للضحية تنتهي بالموت البطيء.

- وماذا لو جمع الـ tetrodotoxin مع الفلاكسديل؟
- يكون الموت وشيك وفي دقائق أقل؛ لأن حقنة الفلاكسديل إذا اخذها شخص سليم يجب وضعه مباشرة على جهاز التنفس، وإلا يموت في خلال عشر دقائق.

قمت من مجلسي وسرت قليلًا بجانبه ثم وضعت يدي على كتفه وأنا أقول بعفوية:

- إذًا ففي الحالتين (ريم) ستموت بسبب قلة الأكسجين، لمَ اعطيتها الاثنان إذا ثبت موتها في الأساس؟

نظر لي وبعين دامعة قال:

- لم اقتلها، وكيف أفعل كل هذا وأنا أعلم جيدًا تأثير كل مادة بمفردها!
- وهو الأمر المحير.

قلتها بصوت هادئ وأنا أعود مجددًا لموضع جلوسي، نظرت قليلًا للورق أمامي ثم قلت له بسرعة:

- ما وظيفة (حسناء) في الشركة؟
- حسناء المسؤولة عن الحسابات بالشركة.

صمتُ قليلًا وبعد دقائق طلبت العسكري بالخارج ليأخذه مجددًا، وطلبت حضور (حسناء عبدالعزيز) للتحقيق معها.

****

جلست في المنزل أشاهد التلفاز وأمي في المطبخ تعد الغذاء، لا أعلم عن (خالد) شيء من ليلة القبض عليه والأكيد أنهم سيطلبون قدومي ولا أدري ما سأقوله وقتها وماذا أفعل بالسكين معي.

منذ ظهور تلك الـ (ريم) في العمل وهي محط انتباه من الجميع حتى (خالد)، كثرت مقابلتهم وهمزاتهم حتى أنها كانت تذهب لبيته مساء كل ليلة، وأحيانًا تعود برفقته صباحًا، ربما وجدت فيه ضالتها بعد وفاة والدها خصوصًا أنها كانت تحبه بجنون، أو هو من اغواها بأفعاله كما فعلت بي ابتسامته، لا أعلم شيء سوى أنني فقدت أعصابي في تلك الليلة.. تحديدًا ليلة موتها.

قاطع تفكيري صوت أمي تخبرني بانتهاء الطعام وفي نفس اللحظة دق جرس الباب، فتحت أمي هناك أحد بالخارج تتسامر معه، سمعتها تئن قمت مسرعة ارتديت ملابسي وخرجت لأجده شرطي بيده أوراق، عندما تلاقت أنظارنا قال:

- حضرتك الآنسة (حسناء عبدالعزيز)؟
- أجل.

اجبته بخوف وتوتر جلي، أيعقل أن (خالد) وشى بي!

- طلب (سعيد) بيه حضورك.
- لماذا؟
- بعض التحقيقات في الجريمة.
- ألم يكن (خالد) القاتل.
- لا أعلم، ستعلمين كل شيء في المركز.

طلبت منه الانتظار حتى اهندم ملابسي، تأكدت من حسن اخفائي للسكين، اطمئن قلبي وخرجت معه، عند وصولنا انقبض قلبي من هول ما أراه، لأول مرة أدخل فيها لمركز شرطة، دقائق مرت حتى دخلت أخيرًا.

- أهلًا أستاذة (حسناء) تفضلي بالجلوس.
- ما سبب وجودي هنا؟
- ألا تعلمين؟

نظرت له بشك، لأول مرة أشكر نقابي على ما وضعني فيه؛ فلولاه لرأى شكلي وتعبيرات وجهي جراء أسئلته، أكمل حديثه:

- لا يهم أن تقولي أي شيء، فـ (خالد) قال، وما تخبئينه بمنزلك معنا الآن.

توترت، زادت أنفاسي، أكيد أنها لعبة منه يجس بها نبضي، ظللت أفرك بيدي وأنظر له وللباب منتظرة دخول أي شخص ينجدني قال مرة أخرى:

- لمَ التوتر، أتريدين ماء.

أجبته بـ "لا" ليكمل حديثه:

- أخبرني أنكِ السبب، احضرها لمنزله وفعلتِ فعلتك، شركاءٍ أنتم.

لم أستطع أن أجيب، تركت العنان لعيني، بدأت في النواح والصريخ وأنا أقول "أنا قاتلة أنا قاتلة" لم أقصد فعل ما فعلته، رأيته يقف من مجلسه ويحضر كوب الماء وعلى ثغره ابتسامة شفقة تلك التي طالما كرهتها في (ريم)، لم تكن يومًا تحبني بل تشفق علي؛ لترك أبي لنا والزواج، لقلة حيلتي، عدم رؤية الجميع لي.. حتى من أحب سرقته مني.

- ألن تخبريني بما حدث أم نتخذ الإجراءات بالمعلومات التي نملك!

أخبرته أن "لا" ثم كفكفت دموع عيني، أخذت الماء وتجرعته كله، جلس أمامي واضعًا قدمه على الأخرى وبدأت في السرد:

- في ليلة وفاتها تبعتهم، (خالد) و (ريم)، اعتادوا الذهاب سويًا لمنزله، في البداية كان يوميًا حتى أنهم يعودون صباحًا سويًا وفي آخر أيامها فقط ذهبت ذلك اليوم.. يوم وفاتها.
كان الجميع بالمكتب غير طبيعيين والمكتب نفسه به بعض التعديلات، اخبرتها أن نتسكع قليلًا لكنها رفضت وتركتني حتى دون أن أجيب، تبعتها، ذهبت لمنزله، كانت تحمل بيدها حقائب بلاستيكية كثيرة، اقتربت من المنزل أكثر كانت ضحكاتهم تملأ الأرجاء وقلبي يعتصر ولحسن حظي أو سوئه كان الباب مفتوحًا دخلت لأراها تجلس أمامه على المنضدة وهو يمسك بيده تفاحة يقوم بقطعها.

- أكملي.

كان وكأنه يستمتع بما أقول، مازالت قدمه فوق الأخرى، يثني يده أمام صدره، أمسك سيجارة وأشعلها فسعلت، حتى قال:

- معذرة نسيت أنكِ تعانين الربو سأطفئها.

بادلته بابتسامة لم يرها وأكملت:

- عمى الغضب عيني، اقتربت منها اسألها لماذا، لماذا وهي تعلم بما أكنه لـ (خالد)، طلبت مني الانتظار وحاول (خالد) تهدئتي لكن لا محال لم أشعر بنفسي سوى وأنا أحمل سكينًا صغيرة كانت على المنضدة أمامي واطعنها في جانبها الأيمن، صرخت تركتها تعوي كالكلاب، امسك بها (خالد) حاول إخراج تلك السكين حتى فعل، ذهب بسرعة ليحضر علبة الإسعافات لمداواة جرحها، كانت السكين صغيرة للغاية لم تؤذها كثيرًا حتى أنها لم تنزف الكثير، ذهب (خالد) لغسل يده في الحمام وهي في مواجهتي، أخبرتني أنه كان ينوي التقدم لخطبتي في الصباح بالعمل وكانت تساعده بالأمر، لم أصدقها أعلم جيدًا أنها تكذب، خرج (خالد) نظر لي بغضب ثم قال "احملي تلك السكين معك واذهبي من هنا" لم أصدق ما يقول يفعل بيَّ هذا لأجلها، اخذت السكين ورحلت.
- وأين تلك السكين الآن؟

نظرت له بصدمة، كان يكذب عليَّ لم يكن يعلم أي شيء وأنا كالحِمار اخبرته كل شيء بمجرد تلك الكلمات التي قالها، نظرت أمامي بهدوء وقلت:

- في المنزل، هناك درج سري في مكتبي من الأمام وضعتها هناك.
- والسم ما حكايته؟
- لا أعلم، تركتها بخير تلك الليلة ولم أسممها.
- هل تعلمين أنها ماتت بالـ tetrodotoxin والفلاكسديل.

لم أجب فأعاد سؤاله:

- السم يا (حسناء)، حتى الآن لا دخل لكِ بموتها مجرد مشاحن بينكما ساعديني كي اتوصل للقاتل الحقيقي ليخفف عليكِ حكم الاعتداء.

ظللت صامته لم ولن أجيبه، شعرت وكأن روحي تسحب مني، أرى (ريم) أمامي تبتسم وتبكي، تبكي دماء! باغتني بقوله:

- هل تعلمين أنها كانت تساعده حقًا في التقدم لكِ، أمك تعلم بالأمر لو سالتيها لعلمت ما حدث.

بكيت، بكيت كما لم أبكِ من قبل، بكيتها وبكيت حالي وتعجلي، كما ظلمتها وظلمت نفسي، قلت بهدوء:

- لم يخبرني (خالد) بذلك، اخبرني أنها كانت تساعده ببعض الأمور.
- رحلتوا سويًا أم أنتِ و (ريم) أم تركتيها هناك؟
- تركتها، كان يضمد جرحها وجهز حقنة ليعطيها إياها.
- أي حقنة؟
- لا أعلم شيء لكن أظنها مسكن أو شيء من هذا القبيل.

نظر لي بشك ثم فتح الباب ليدخل شرطي آخر بيده صينية بها كوبان من الليمون، ناولني واحدة فتجرعتها وترك الأخرى على المكتب.

- لنفرض أن تلك الحقنة هي الفلاكسديل، وأنتِ من طعنتها.. إذًا من أعطاها الـ tetrodotoxin؟
- ماذا؟

يبدو أنه يفكر بشيء مهم، طلب الهاتف سمعته يأمر بإحضار (خالد)، دقائق حتى كان يقف أمامنا، جلس ونظر لي ولـ (سعيد)، فقال له:

- حقنتها بالفلاكسديل؟

هم واقفًا من مكانه قائلًا:

- لم أفعل شيء هي من قتلتها.

وأشار إليَّ بيده، نظرت له وقد غلف الألم قلبي، لم اتوقع يومًا أنه سيتركني في أول الطريق، قال (سعيد):

- اتقصد (حسناء)، مسؤولة الحسابات تلك، بمن تريدني أن أشك.. مدير شركة دويدار للصناعات الكيميائية أم موظفه فيه تعمل بالحسابات لا تفقه شيء عن المراد الكيميائية!

توقف وكأنه تذكر شيء للوهلة الأولى وأردف:

- تناول كوب العصير ذلك.

ونظر له بعينيه، لا أعلم لمَ الآن حالته جيدة ليس بمنهار أو بخائف، كالبغل يجلس كرشه الصغير يتدلى أمامه.

- لا أريد.
- احمل الكأس اللعين.

حمله، كل هذا وأنا أشاهد ما يحدث بعدم فهم كما هو، تناوله بيده اليسرى ووضعه أمامه.

- هل أنتَ أعسر؟
- ماذا!

- يدك اليمنى أقرب للكأس، أجبني هل أنتَ أعسر!
- نعم.. لكن لم....

فتح الشرطي الدرج ليحمل منه أوراقًا، فتحها ليخرج منها بعد بحث ورقة بعينها، ابتسم، نظر لي ثم لـ (خالد) وبدأ في القراءة:

- تم حقنها بمادة الفلاكسديل في ذراعها الأيسر، وبالكشف اتضح أن معطيها أعسر!

وضعت يدي على فمي وأنا اشهق، نظرت لـ (خالد)، جحظت عيناه وهو يسمع ما يلقيه (سعيد)، باغته بسؤال:

- لمَ قتلتها.
- لم اقتلها اخبرتك لم اقتلها.

ابتسم (سعيد) بشدة وكأنه ألقى نكته ما عليه، نظر له بشفقة كانت بين ابتسامته التي طالت ثم قال:

- الأدلة كلها ضدك، الدم، الحقنة، و (حسناء)، لم تفعل هي شيء سوى أنها طعنتها وليس بجرم كبير مقارنة بقتلك لها بكل تلك الوسائل، أعتقد أنك ذكي، الآن أخبرني بما حدث.

رأيته ينظر لي بكره شديد، لأول مرة أرى وجهه الحقيقي كان يخدعني بنظراته وكلامه المعسول، وحين الشدة كان أول الطاعنين، تنهد ثم قال:

- بعد رحيل (حسناء) جاءتني رسالة من البنك باقتراب موعد التحفظ على أملاكي بسبب الديون التي تراكمت عليَّ، وقتها كنت في المطبخ امسح ملابسي لأن الحقنة التي كنت اعبئها لها وقعت عليَّ، فتَحت هاتفي لتعثر على رسائل بيني وبين محامي العائلة اخبره أنني غدًا سأتقدم لخطبتها وبعد أسبوع ستتم الزيجة وبعدها ستكتب أملاكها كلها لي، فهي تعشقني وتفضحها عيناها.

لم أتحمل ما سمعته، انقضضت عليه كالأسد ألطم وجهه أزاحني عنه بقوة ليفصل بيننا (سعيد) قائلًا:

- إن لم تصمتي ستنتظري بالخارج وأنتَ أكمل!

هندم ملابسه ومسح وجهه من أثر الصفعة وأكمل بكلل:

- وجدتها تقف أمام المطبخَ بيدها الهاتف، وجهته لي لأرى تلك الرسائل وفي عينيها دموع تنتظر كلمة مني حتى تهطل. أخبرتها أن تنتظر

بالخارج وسوف ألحقها وأجيب عن كل ما يجول في خاطرها، توجهت حينها للحمام، فتحت الدرج الخاص بالأدوية والتقطت عبوة الفلاكسديل، افرغتها فيها ثم خرجت، قلت لها أن تأخذ الحقنة لتفادي أي ضرر من الطعنة، طلبت أن أخبرها أولًا لكن قلت أنني سأقول كل شيء صباحًا أمام الجميع، حتى (حسناء)، وأنني أحبها واخطأت حين فكرت بمثل هذا الشيء، والغريب في الأمر أنها صدقتني، أخذت الحقنة ثم رحلت.

- شيطان، شيطان بغيض تلعب على فتاة لأموالها وتقتل الأخرى لأنها كشفت حقيقتك، هل ظننت أنكَ ستفلت من فعلتك؟

رأيته يبكي، كنت مغفلة؛ أذيت صديقتي المقربة لمجرد شكٍ وهي كانت تفعل كل هذا لتسعدني، جلست فاقدة للإحساس لا أعلم ما تلك المشاعر التي اجتاحتني لكن إحساس الذنب يقتلني، وضع (سعيد) يده على رأسه، رأيته ينظر لصورة وضعت على مكتبه و (خالد) يهتز، لا شيء سوى الصمت يخيم المكان حتى قطعه الشرطي بسؤاله:

- السكين ومستعملها معنا، الفلاكسديل ومستعمله أيضًا معنا، إذًا من استخدم الـ tetrodotoxin؟

نظرت بشك لـ (خالد) كما فعل هو، في الأساس هي ميته من يريد قتلها غيره، أدير الباب ليدخل بسرعة شرطي قائلًا:

- تمام يا فندم، أعتذر على المقاطعة ولكن هناك شيء مهم.
- تفضل.

نظر لي ولـ (خالد) وكأنه يخبره بنظراته أن "على انفراد" فأردف (سعيد) قائلًا:

- قل ما عندك.
- توفيت اليوم والدة (ريم) واخيها الصغير، ولن تصدق كيف!

****

بعد شهر.

فرغ البيت من كل من فيه، (ريم)، امها واخيها الصغير، ظنت الأم أنها كما اعطتهم الحق في العيش فلها الحق أيضًا في نزع حياتهما، خافت أن تتركهم ورائها للحياة تقلب فيهم كيفما شاءت فقررت الرحيل ومعها طفليها، لو انتظر (خالد) بضعة أيام كانت ماتت بمفردها دون تدخل منه، ولو تريثت (حسناء) حتى فهمت الأمر لما أذنبت، ولو علمت الأم دورها بصدق وتخلت عن جشعها قليلًا لما حدث كل هذا.. لكن تلك النفس البشرية دائمًا ما تخطئ ثم تحمل القدر خطئها وكأنه المذنب الوحيد في القضية.

كيف لأم أن تحرم أولادها الحياة فقط لأنانيتها! الأم الطبيعية تستيقظ كل صباح لتهتم بأولادها، لكن أم (ريم) كانت تستيقظ كل صباح لتعطي أولادها جرعة مخففة من الـ tetrodotoxin لتنهي حياتهم ببطء، ذهب ثلاثتهم لربهم فيتوكل قضيتهم، أما قضيتنا فتم إيداع (خالد) و (حسناء) في الحبس ليتلقوا مصيرهم وسأسعى أن يكون حازمًا.

حينما جاء الشرطي ذلك اليوم يبلغني بموت والدة وأخ (ريم) وسبب الموت، لم يستوعب عقلي ما قاله، الأم ماتت بسبب السرطان الذي استولى جسدها، لكن أظن أن سبب الموت هو الغباء الذي استوطن عقلها، والأخ مات بسبب الـtetrodotoxin، حين بحثنا في المنزل عثرنا على زجاجة من المادة، وعثرنا على رسالة من الأم مفادها الاعتذار، اي اعتذار يشفع لما فعلته!

أما (ريم) تلك المسكينة راحت ضحية للجميع، وثقت بالجميع ثقة أودت بحياتها، غرباء نحن في تلك الحياة، نظنها بيتنا لكن في الحقيقة نحن ضيوف و (ريم) كانت ضيفة ثقيلة على قلوب الجميع، مثل ابنتي التي سُرقت مني طفلة، لكنهم هدية من الله رُدّت.

وقفت أمام قبر (ريم) وذويها.. ابيها، امها واخيها الصغير، نظرت للقبر بحزن وقلت لها:

- أنتِ الآن بصحبة ابنتي، اهتمي بها وابلغيها سلامي وأني أحبها.

عاشت (ريم) حياة حزينة في منزل كانت تظنه لها بكل من فيه، ومع صديقة أحبتها بكل ما أُتيت من

قوة، لكن الحزن والغضب عمى أنفس الجميع، ليت (أحمد) يعلم أنها قاست وظُلِمت في حياتها، وليت (حسناء) توقن أنها ظلمتها بكل ما تحمله الكلمة من معنى، وليت (خالد) يرى نفسه السيئة أمامه ويلقى أشد عقاب، وليتني ألحق بكِ صغيرتي في الفردوس، لا تنسيني سألقاكِ و (ريم) عن قريب.. قريب جدًا.

****